كذلك كان من مظاهر هذا الاهتمام ابتداعُ الأندلسيِّين لفنٍّ نثريّ ، يبدو أنهم أوّل من كتبوا فيه ثم أصبح بعد ذلك تقليداً شائعاً ، هو الرَّسائل التي تُوَجَّه إلى قبر الرَّسول ﷺ ، وربما كان أوّلَ من فتح هذا الباب الوزيرُ الكاتب أبو القاسم محمَّد بن عبد اللّه بن الجد الإشْبيلي (ت سنة ٥١٥) ، على لسان رجل صَدَر من بيت اللّه الحرام بعد زيارة قبر النَّبيِّ [١] ، وهي في التَّوسُّل له وطلب الشَّفاعة منه . وسار الأدباء الأندلسيُّون بعد ذلك على هذا النَّهج من كتابة الرَّسائل إلى الرَّوضة النَّبويَّة الشَّريفة ، لاسيَّما بعد أن اعتقد كثير من المسلمين في قدرة هذه الرَّسائل على أن تكْفُل الاستجابةَ لدعوات كاتبيها ، فالمَقَّري يورد رسالة لرجل من أهل قرطبة هو عبد الله بن عبد الحق الصَّيْرَفي ، وكان عليل الجسم ، فلما وصلت رسالته إلى القبر الشَّريف بَرئَ من عِلَّته .[٢]

كما نقل لنا عدَّة رسائل أخرى مماثلة كتبها ابن الغَمَّاد المالقي (ت ٥٣٠) ، والكاتب المعروف ابن أبي الخِصال (ت ٥٤٠) ، والقاضي عِياض (ت ٥٤٤) .[٣] واستمرَّ هذا التَّقليد حتى نهاية الإسلام في الأندلس، فنحن نجد لسان الدين بن الخطيب ، الكاتب الوزير المعروف ، يكتب رسالتين عن سُلْطانَي غَرْناطة : أبي الحَجّاج يوسُف (ت ٧٥٥) وابنه محمد الغني بالله (ت ٧٩٣) يصفُ فيهما أحوال بلاده ، ويطلب منه العون في دفاعه عن كلمة الإسلام وجهاد أعدائه .[٤]

وليس من العسير أن نقدِّر العامل النَّفسيَّ المُوَجِّه لكتابة مثل هذه الرَّسائل ؛

---

(١) احتفظ لنا بهذه الرِّسالة ابن بَسّام في كتاب الذَّخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الثاني ، ج ١ ، ص ٢٨٦-٢٨٨ .

(٢) أزهار الرياض ، ج ٤ ، ص ٢٩-٣٢ .

(٣) انظر هذه الرِّسائل الثلاث في أزهار الرياض ، ج ٤ ، ص ٣٣-٣٤ ، و ٢١-٢٩ ، و ١١-٢٠ على التوالي .

(٤) نص الرسالتين في أزهار الرياض ، ج ٤ ، ص ٣٤-٤٥ و٤٥-٧٩ .